"Colonialisme et l'Islam en Algérie (Le)" in El-Moudjahid, n45, 06/07/1959, article non signé.

DEMONTES (Victor), "Les mosquées d'Alger", in Bulletin de l'Afrique française, n 12, Dec. 1910.

EMERIT (Marcel), "Le problème de la conversion des musulmans d'Algérie sous le second Empire, le conflit entre Mac - Mahon et Lavigerie", in Revue Historique, janvier-mars, 1960.

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وحوادث الثامن ماي 1945

د. أحمد مريوش

لقد أصاب نشاط الجمعية عشية نهاية الحرب العالمية فقد أصابها بعض الركود كغيرها من الإتجاهات الوطنية الأخرى، ولعلّ مرد ذلك إلى عوامل عديدة منها إستقالة البعض عن المجلس الإداري للجمعية وماأحدثه من أثر على إتساع الهوة بين رجال الجمعية من جهة والمناصرين من جهة ثانية، إضافة إلى اعتقال الإبراهيمي الرابض في تلمسان، هذا ناهيك عن صدمة وفاة بن باديس في أفريل 1940، وكل ذلك أدى إلى التقليل من نشاط الجمعية خصوصا وأن توقف صدور جريدة البصائر ترك فراغا كبيرا، كما أنّ إشتداد الرقابة الإستعمارية واضطهادها لرجال العلم والسياسة قد خنق حرية التعبير كما تسبب في تعطيل حركة التعليم العربي الحر.

وبالرغم ذلك كلّه، فالظاهر أنّ الجمعية قد قصدت من جهتها هي الأخرى التقليل من نشاطاتها المعتادة عليها، حتى لاتوظف لخدمة جبهات الحرب وتدعيم الحلفاء لأن متابعة نشاطاتها من جانب واحد سوف يؤول حتما إلى تحرش الإدارة الفرنسية ضدها، خصوصا إذا علمنا وأنّ هذه الأخيرة قد سخرت كلّ إمكانياتها بما فيها الجزائرية لتمكين أغراضها والتصدي للنازية وحلفائها.

وهذا لايعني من جهة أخرى أنّ الجمعية كانت غائبة تماما عن الساحة السياسية، بل ظلّت وفية لمبادئها التي سطرتها في قانونها الأساسي، ولو أنها أصبحت أكثر تعايشا في ممارساتها تجاه التيارات السياسية الأخرى وبالخصوص مع حزب الشعب وأحباب البيان وقد تجسد ذلك في مشاركتها في إثراء البيان الجزائري

في فبراير 1943 والذي كان وراء اصداره فرحات عباس(1) الذي أصبح يتطوّر تطوّرا إيجابيا تجاه القضية الجزائرية(2).

والحق أنّ الجمعية بالرغم من ظروف الحرب الصعبة، فإنها لم تكن بعيدة التفكير في إيجاد مخرج للقضية الجزائرية، وقد ضمت صوتها للجبهة المتحالفة حسب تعبير الدكتور سعد الله إذ يقول : «وقد ضمّ أعضاء من النواب والنخبة وحزب الشعب والطلبة والكشافة والعلماء. فكان عبارة عن جبهة مكونة من متحالفين أكثر منها حزبا سياسيا.» (3).

كما أنّ الجمعية لم تكن بعيدة عن مجمل التطورات التي أفرزتها أحداث الحرب العالمية الثانية، فبعد النكسة التي أصابت فرنسا في بداية الحرب وتقهقرها أمام ضربات النازية، فإنّ مواقف الجمعية تجاه فرنسا ظلّت صامدة وواضحة سواء مع حكومة الماريشال بيتان أو مع الحكومة الحرة بزعامة ديغول في لندن وحتى في فرنسا فيما بعد وبالخصوص أنّ هذا الأخير زار الجزائر محاولة منه كسب عطف الجزائريين وحتى الكولون وإدماج الجزائر الغنية لخدمة سياسته الجديدة التي أملاها في قانون 7 مارس 1944، هذا المرسوم الذي لم يضف الشيء الجديد لصالح الجزائريين باستثناء توسيع دائرة التجنس، ولذلك فقد رفضته الجمعية برئاسة الإبراهيمي(4).

ومن باب محافظة جمعية العلماء على توازنها ومكانتها التي عرفت بها بين الجزائريين من جهة، والتعايش مع الأحزاب الوطنية من جهة ثانية، فإنّ مواقفها تجاه السياسة الفرنسية خلال هذه الفترة أصبحت أكثر رزانة ووضوحا عن سابقاتها، خصوصا وأنّها شعرت كغيرها من الإتجاهات السياسية بالبرودة التامة التي استقبلت بها فرنسا وحلفائها لمطالب البيان الجزائري.

ولذلك نجد الإبراهيمي لم يتقاعس كغيره من الوطنيين والجمعيات والتنظيمات الأخرى،(5) وقدم مذكرة باسم جمعية العلماء إلى لجنة الإصلاحات الإسلامية(6) التي شكلتها فرنسا قبيل نهاية الحرب، وكشف الإبراهيمي من خلال مذكرته تمسك

Créé avec
nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

الجمعية بمطالبها التي عرفت بها والمتضمنة مقومات الشخصية الجزائرية، إضافة إلى بعض المطالب السياسية وفصل الدين عن الدولة(7).

ومهما يكن من أمر فإنّ فترة 1942 و 1945 كانت مليئة ومفعمة بالنشاطات والتجارب التي أثرت الحركة الوطنية، وماكادت سنة 1944 تنتهي حتى كانت أكثر صلابة وأكثر وعيا وأعمق تجربة للجزائريين بالإضافة إلى أنها أدخلت الجزائريين مع الفرنسيين في عهد جديد من التحدي والمواجهة التي لم تعرفها من قبل(8) وقد مكّن هذا الشعور الوطني القاعدة العريضة من الجزائريين إلى الإنضمام لأحداث 8 ماي 1945.

هذا عن أوضاع الجمعية عشية الحرب الثانية، فكيف عن مساهمتها في أحداث 8 ماي ؟ لعلّ السؤال الذي مايزال يتبادر إلى الأذهان هو : هل كانت للجمعية اليد الطولة في إثارة أحداث الثامن من ماي ؟ يبدو أنّ الجمعية كانت كغيرها من الأحزاب الأخرى قريبة من الأحداث ولكنها لم تكن المفجر الرئيسي لها، لذلك لايمكن إبعاد الشحنات النفسية التي غرستها الجمعية عبر وسائل عملها المختلفة في شخصية الجزائريين والمتمثلة في إذكاء الحس الوطني الذي تولد وارتبط بمقومات الشخصية الجزائرية، برغم أنّ الجمعية لم تحدد صراحة موقفها من الأسلوب الراديكالي في التغيير، وذلك إستيراتيجية منها كي تحافظ على الشرعية وتمرّر أعمالها الثقافية التي أضحت رافضة لسياسة المسخ الإستعمارية، بل أصبحت مأهلة لقبول فكرة القطيعة مع فرنسا والتعبير عن عصيانها المدني.

وإذا كانت مدينة سطيف هي السباقة لإحتضان مظاهرات 8 ماي، فإنّ بداية المظاهرات يعود إلى الفاتح من ماي، وكذلك مظاهرات 7 ماي بالعاصمة والتي رفعت أصواتها لإطلاق سراح مصالي الحاج، إذ يذكر الشيخ خير الدين وهو المساعد الأيمن للإبراهيمي أنّ هذه مظاهرات إنتهت إلى مشادات مع الشرطة، وسقط خلالها أحد الشباب من عائلة بن الحفاف(9) وعلى جناح السرعة عقد إجتماع في مقر أحباب البيان ضمّ الإبراهيمي والتبسي وخير الدين عن العلماء، وعباس وأحمد بومنجل عن البيان وأحمد مزغنة وحسين عسلة عن حزب الشعب، وتوج الإجتماع

بصدور بيان مشترك حول حوادث 7 ماي، كما كلّف عباس والدكتور سعدان بتبلغ الحاكم العام عن فحوى ردود فعل الفرنسية تجاه الجزائريين الأبرياء لكنهما اعتقلا ونقلا إلى سجن قسنطينة[10].

والظاهر أنّ مظاهرة الثامن ماي لم تباغت الإدارة الفرنسية، فهي التي رخصت لها شريطة أن تكون مظاهرة سلمية، كما أنّ حاكم قسنطينة "ليستراد كاربونيل" قد أعلن خلال شهر فبراير من نفس السنة للدكتور سعدان أنّ الشهر القادم سوف يشهد أحداثا خطيرة سوف يحمل على إثرها حزب عتيد[11].

كما أننا لايمكن عزل صدى الجمعية عن التمرد الجديد الذي أصبح باديا على الجزائريين بعد تغييرها للخطاب الدعوي من جهة، وشحنها للثقافة التصادمية ضد فرنسا من جهة ثانية، ولعلّ ذلك نلمسه من خلال قراءتنا لبعض المعلقات التي ألصقت بالساحات العمومية، مثل مناشير فبراير 1945، والتي تضمنت خطاب الدفاع عن مقومات الأمة الجزائرية والمطالبة بالسيادة، وقد جاء في هذه المناشير : «أيها الإخوة المسلمون إنّ حياة بلادكم في خطر فالإستعمار ق خرّبها ماديا ومعنويا إنّ الشعب الجزائري لم يتمتع بالحضارة لوجود المستعمر الفرنسي، فاللغة العربية مضطهدة منذ الإحتلال، والإسلام أصبح محل سخرية، وأنّ كرامتنا لايضمن لها الإحترام إلا في إطار جزائري وحكومة جزائرية تقوم على سيادة الشعب الجزائري وترفض أية سيادة أجنبية»[12].

وتذكر بعض المصادر الأخرى أنّه قبيل الحادثة إنخرط في مدينة بجاية لوحدها حوالي 2000 مسلم في الحركة النقابية العمالية بعدما سمعوا أحد أعضاء جمعية العلماء المسلمين يقول مردّدا : «الساعة قد حانت للدفاع عن قضية المسلمين»[13].

كما أنّ مبادئ جمعية العلماء ورسالتها قد أصبحت جالية إلى العنان وأنّ ضرورة تغيير المنكرات أصبح لدى قناعة العديد من الجزائريين، ففي مدينة سيدي بلعباس مثلا ذكر أحد المشاركين في المظاهرة والمدعو "عبد الكريم بخوشة" أنّ الفترة كانت محفوفة بالمخاطر بعدما نظم الشيوعيون حفلا راقصا وغنّوا النشيد الدولي «الصراع النهائي» وحينها تجمهر المسلمون من حولهم وهم يرددون نشيد من جبالنا طلع صوت الأحرار وبذلك انقطع الحفل الراقص.»[14].

ومما لاشك فيه أنّ الجمعية أصبحت مستهدفة من طرف الإدارة الفرنسية كغيرها من الأحزاب، وخاصة حزب الشعب الذي أصبح يجنح نحو الطرح الراديكالي بعد تشبيب هياكله. ولذلك نجد أن ابنّ العقون في مذكراته يطلق على الجمعية خلال هذه الفترة مصطلح «لاثورية ولا إصلاحية» وإنّ الجمعية غيرت من مواقفها تجاه الأحزاب، لأحداث الحرب الثانية وتبنى الحلفاد لمبدأ تقرير مصير الشعوب. وكلّ ذلك أوقد جذوة الكفاح في الأحزاب من أجل التحرر الوطني. كما زرعت في الجمعية روحا جديدة من إرادة التفاهم مع حزب الشعب[15].

وهذه الدلائل كلها توحي لنا بتغيير العمل عند الجمعية وتخليها عن مواقفها الأحادية إلى إنضمامها إلى مشورة الأحزاب، ففي 19 أفريل 1945 إجتمع بقصر الشلالة الأقطاب الثلاثة وهم الإبراهيمي ومصالي وعباس في سرية تامة واتفقوا على برنامج وهو مهاجمة الإدارة الفرنسية[16].

كما يذهب كاتب آخر إلى القول أنّ الزعماء الثلاثة قد اتفقوا على القيام بمظاهرة عامة يوم إحتفال الحلفاء بالنصر، وكان الهدف من هذه المظاهرة هو الضغط على الفرنسيين بإظهار قوة الحركة الوطنية ووعي الشعب الجزائري بمطالبه[17]. ولعلّ هذا التصوّر تسانده رواية أمين جمعية العلماء على مستوى منطقة سطيف وقتئذ إذ يقول : كنت في ذلك الوقت أمينا بجمعية العلماء التي كانت تعمل مع أصحاب البيان والحرية وحزب الشعب الجزائري في آن واحد[18].

أما توفيق المدني وهو من أعضاء الجمعية ومن المقربين من فرحات عباس في التوجه السياسي، فيذكر في مذكراته أنّه في يوم 6 ماي عقد اجتماع موسع في متجر عباس التركي وضمّ الإبراهيمي والمدني وخير الدين وعباس فرحات، ودار الكلام حول أوضاع الجزائر وإمكانية تشكيل خط دفاعي مع تونس والمغرب[19].

كما أنّ إنطلاق المظاهرات من مدينة سطيف كان له وقعه عند الجمعية، وخاصة

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

عند الإبراهيمي الذي ينتسب للمنطقة مولدا وإصلاحا، وأنّ أول شهيد يسقط برصاص الغدر الفرنسي كان من المنخرطين في صفوف الكشافة الإسلامية. هذه الكشافة التي أولتها الجمعية من العناية الكافية وغذتها بالمبادئ الدينية والوطنية حسب القاعدة التربوية للحركة الشبانية التي اعتمدها ابن باديس بقوله :

يانشئ أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب

ومن ذلك فلا غرابة في أن نجد أنّ العلم الجزائري كان مرفوعا بيد الشهيد، وهو يحمل اللون الأبيض والأخضر، وهذه الألوان كانت تمثل راية الجهاد التي رفعها الأمير عبد القادر في حركته الجهادية ضد الغزاة الفرنسيين[20] ومن هنا لايمكن إبعاد الوازع الديني عن حبك خيوط المظاهرة، وقد أكّد هذا التفسير حاكم فج أمزالة - فرجيوة حاليا - في تقريره للإدارة الفرنسية حول الحادثة بقوله : «إنني أؤكّد لكم بأنّ الحركة التي بدأت يوم 9 ماي في فج أمزالة قد أخذت طابعا ثوريا تحت راية الإسلام»[21].

وقد أكّد لي هذا التصور المدعو «مريوش لمطيش» وهو أحد المشاركين في حوادث التاسع ماي التي شهدتها قري ومداشر فج أمزالة مثل : أولاد عامر، والشرفة والمحد، وأنهم بعد سماعهم لأحداث سطيف وبني عزيز، قاموا هم كذلك بمداهمة مراكز حراس الغابات وقتلوا من وجدوا من الفرنسيين، إنتقاما منهم تحت صيحات الجهاد في سبيل الله والقضاء على الكفار ورفع راية الإسلام والحرية[22].

أما الإدارة الفرنسية فقد أسندت الأحداث إلى مصالي والإبراهيمي وعباس، وتجلى ذلك في تقرير الجنرال توبير الذي قاد سنة 1945 لجنة التحقيق في الأحداث، وقد إعتبرت اللجنة أنّ دور العلماء جاء بطريقة غير مباشرة لأنهم كانوا على صلة بالحركة الإسلامية خارج الجزائر وبالدوائر الوطنية في مصر، وكانت دعايتهم لاتختلف عن دعاية حزب أصدقاء البيان والحرية يبثونها في مدارسهم وينشدونها في أناشيدهم ومناشيرهم وحفلاتهم ومحاضراتهم وقد بلغ في تأثيرهم أن كان

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

التلاميذ الجزائريون يخرجون من المدارس الفرنسية ويدخلون مدارس العلماء[23].

وبعد يوم واحد من الحادثة قامت مصالح الإستعلامات الفرنسية باعتقال الإبراهيمي وإهانته وزجت به في السجن العسكري بالعاصمة، ثم حولته إلى سجن قسنطينة حيث يوجد فرحات عباس والدكتور سعدان، وفي نفس اليوم داهمت الشرطة الفرنسية كذلك مقر إقامة الشيخ خير الدين والعربي التبسي، ونقلا إلى سجن الحراش، وبعد شهرين حُوِّلا إلى سجن وهران ثم أبعدا إلى معتقل بوسوي جنوب مدينة وهران[24].

وبهذه الحرب النفسية والمعنوية واجهت الإدارة الإستعمارية رجال الجمعية، واعتبرتهم من وراء أحداث الثامن من ماي، كما زجت بهم في السجون والمعتقلات، لالشيء سوى لأنهم إستطاعوا أن يكوّنوا جيلا جديدا من أبناء الجزائر رفض أن يبقى تحت كابوس الهيمنة الفرنسية.

هذا عن مساهمة الجمعية في أحداث الثامن من ماي، وأما عن نظرة الجمعية للحادثة من خلال أدبيات بعض رجالاتها، فإنّ المتتبع لتطور الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر بعد الحرب الثانية يجدها تتحول من الطابع العقلي والحكمة التي إمتازت بها قبل الحرب، إلى طابع جديد يغلب عليه أسلوب الحسرة والتحدي المشحون بالفعل التصادمي لنتائج الحرب المديرة والمريعة، لأنّ آثارها كانت قاسية على نفسية الجزائريين إذ خيّبت آمالهم في نيل الإستقلال، فنشأ لديهم شعور بالحزن والحرمان بعد حوادث 8 ماي[25].

ونحن هنا نحاول أن نورد بعض الكتابات النثرية والشعرية لنماذج من رجالات الجمعية وهي على سبيل المثال لاعلى سبيل الحسر، فالإبراهيمي قد علّق على حوادث 8 ماي واعتبرها بمثابة الثورة الفاصلة بين عهدين، وأنه حان الآوان للمطالبة بالحقوق الجزائرية كاملة، إذ يقول في هذا الصدد : «إنّ معركة الثامن ماي 1945 ستكون الحد الفاصل بين المطالبة بالحقوق السياسية، وبين الإستعداد للثورة المسلحة لانتزاع هذه الحقوق المهضومة طال الزمن أم قصر»[26].

كما كتب الإبراهيمي عن الحادثة، وكشف من خلالها عن النوايا الفرنسية تجاه القضية الجزائرية، واعتبر الحادثة وصمة عار في جبين الحضارة الفرنسية وقد عبّر ذلك بقوله : «لو أنّ تاريخ فرنسا كتب بأقلام من نور، ثم كتب في آخره هذا الفصل المخزي بعنوان مذابح سطيف وقالمة وخراطة لطمس هذا الفصل ذلك التاريخ كلّه»(27).

وأرجع الإبراهيمي أسباب هذه الجريمة التي ارتكبت في حق الأبرياء إلى تدابير المعمرين الذي خشوا على مستقبل مصالحهم في الجزائر وأشار إلى ذلك قائلا : «في يوم إنهاء الحرب دبر المعمرون مذبحة 8 ماي 1945 وكانت قسنطينة مسرح الحوادث الدامية الفظيعة التي ارتكبتها عصابات المعمرين ضد الأهالي الآمنين، هذه الحوادث التي دبّرها الإستعمار وأهله»(28).

وقد ذكّر الإبراهيمي السلطة الفرنسية بالمواقف الشجاعة للجزائريين مع فرنسا في محنتها، وأنّ الشعب الجزائري قدّم الكثير وضحّى بالنفس والنفيس لكن فرنسا تنكرت لكل ذلك، وتجاهلت المواقف الجزائرية، بل ارتكبت جريمة شنعاء ضد الجزائريين، وعبّر الإبراهيمي عن سخطه في مقالة غاضبة خلال إحياء ذكرى المجزرة سنة 1948 بقوله : «لك الويل أيها الإستعمار !؟ أهذا جزاء من استنجدته في ساعة العسرة فأنجدك، واستصرخته حين أيقنت بالعدم فأوجد، أهذا جزاء من كان يسهر وأبناؤك نيام ويجوع أهله وأهلك بطان، ويثبت في العواصف التي تطير فيها نفوس أبنائك شعاعا. أيشرفك أن ينقلب الجزائري من القتال إلى أهله بعد أن شاركك في النصر لافي الغنيمة، فيجد الأب قتيلا والأم مجنونة من الفزع، والدار مهدومة أو محرقة، والغلة متلفة والعرض منتهكا والمال نهبا مقسما والصغار هائمين في العراء»(29).

والحق أن المقالة معبرة عن الجرح العميق الذي أصاب الجزائريين ومنهم الإبراهيمي الذي برغم إنقضاء الحادثة، فإنّ ذلك الأمر ظلّ يحيز في نفسه لخديعة فرنسا التي استعلمت آلياتها العسكرية فأراقت دماء الجزائريين ونكلت بالأشلاء

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

ونلمس ذلك في قوله : «فلما سكن الإعصار، وتنفست الأمم في جو من السلم، وتهيأت كل أمة أن تستقبل بقايا النار من شبابها وكل أمة أن تعانق وحيدها ... وعاد ـ فرنسا ـ بالتقتيل على من كانوا بالأمس يمدّون حياته بحياتهم ليريهم مبلغ الصدق في تلك الوعود ويحدثهم بلغة الدم ومنطق الأشلاء، إنه إنما قام سوق الحرب ليشتري حياته بموتهم وليرمّم جداره بهدم ديارهم ...»(30).

وراح الإبراهيمي في المناسبات العديدة يذكر بأسلوبه البياني البليغ شدة فضاعة الإستعمار التي أتت على الحرث والنسل والأخضر واليابس واعتبرها حربا أبادية جديدة لكل ماهو جزائري، بل أنّ الإبراهيمي ذهب إلى أبعد من ذلك واعتبر مافعله الفرنسيون في حوادث الثامن ماي قد فاق بكثير مافعله فرعون في أهله إذ يقول الإبراهيمي في ذلك : ويحهم ! أهي حملة حربية ... انجلت عن تلك الفضائع الوحشية التي تكفي وحدها لتلطيخ تاريخ فرنسا بالسواد من تحريق للديار وإتلاف للثمار ونهب للأموال وتقتيل للرجال وتذبيح للشيوخ وللنساء والأطفال وإنتهاك للحرمات الإنسانية مما لو رآه فرعون لافتخر بفرات مافاته منه، فقد كان يذبح الأبناء ويستحي النساء»(31).

هكذا وصف الإبراهيمي موبقات السياسة التدميرية في الجزائر، وأنها تجاوزت منكرات فرعون، وهل جاء هذا الأخير بشيء آثم وأقبح إذا قيس بما اقترنه الإستعمار الفرنسي في حق الجزائريين.

والظاهر أنّ الحادثة لم تبق الإبراهيمي في بكائه على الأطلال، بقدر ماكانت بالنسبة إليه وإلى رجال الجمعية محطة جديدة لمراجعة المواقف تجاه فرنسا، لذلك نجد الإبراهيمي كغيره من الوطنيين يصاب بخيبة أمل وتسقط فرنسا الديمقراطية وتقزم بالنسبة إليه وكتب في ذلك بقوله : «في حين كانت الأمم تقتتل على الملك، والملك مجد وسيادة، وعلى الحرية والحرية حياة وعزة. أما هذه الأمة (الجزائرية) فكانت تقاتل لخيال من أمل ودماء من حياة وصبابة من رجاء وخلب من وعد علا نداؤه وتجاوبت في الخافقين أصداؤه من ديمقراطية زائفة كذب نبيها مرتين في جيل واحد»(32).

كما أنّ الإبراهيمي لم يقف عند أناته، بل نراه يعترف بالضعف الذي أصاب الجزائريين وقتئذ من جراء الصراعات والتضامن بين الأحزاب وكل ذلك إنعكس سلبا على مستقبل القضية الجزائرية، التي أصبحت لقمة صائغة أمام شراسة الفرنسيين، ومن ثمّ دعا الإبراهيمي إلى ضرورة التعاون والوحدة لتثمين الجهود بقوله : «أيها الشعب المعذب لقد هنت عليهم حين هنت على نفسك، إنهم ماضربوك إلا بعد أن جربوك، وماجربوك إلا بعد أن عرفوك، وماجنوا عليك إتهموك إلا بعد أن قرأوك وقهموك، فلا تلمهم ونفسك فلم وغير مابنفسك وهَلم ...»(33).

وقد وعد الإبراهيمي شهداء الثامن ماي بالتاريخ والذكرى التي لاتبرح باله، وأنهم كتبوا تاريخ وطنهم بأحرف من دم ولذلك يجب صيانته حتى لاينسى، وكأنّ الإبراهيمي يخاف من التاريخ(34) وكتب في ذلك الشأن يقول : «يايوم، لك في نفوسنا السمة التي لاتمحى والذكرى التي لاتنسى، فكن من أية سنة شئت، فأنت يوم 8 ماي وكفى، وكل مالك علينا من دين أن نحي ذكراك، وكل ماعلينا لك من واجب أن بدون تاريخك في الطروس لئلا يمسحه النسيان من النفوس»(35).

هكذا إذا خشي الإبراهيمي على أن ننسي الأمجاد وأن نهمل التاريخ، وأما عن توفيق المدني فقد أعطى هو بدوره العناية الكافية للحادثة وسلط عليها الأضواء بقلمه في جريدة الإصلاح الثانية التي أصدرها الطيب العقبي خلال الحرب العالمية الثانية(36) وقدَ فسر المدني المظاهرات على أنها جريمة ارتكبت في حق الجزائريين الأبرياء، وقد عبر عن ذلك بقوله : «كان سبب المذبحة الحقيقي هو رغبة المستعمرين في التخلص من أكبر عدد ممكن من المسلمين، وضرب الحركة الوطنية الجزائرية ضربة لاتقوم لها من بعد قائمة، وقد علموا أنّ مظاهرة ستقع بسطيف وببقية البلاد الشرقية إحتفالا بعقد الهدنة، وأنّه سيرفع خلالها العلم الجزائري، فشحنوا ماستطاعوا من جيش ومن طابور وأعدوا الطائرات والبارجة الحربية وعزموا على اهتبال الفرصة لإعطاء الضربة القاضية»(37).

وقد وجدت كتابات المدني رواجها في الداخل خصوصا وأنّ الرجل عرف بقلمه

Créé avec
nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

السيال ومواقفه الشجاعة، وقد خرج صدى إهتمامه بالحادثة من البلاد العربية ولذلك نرى صاحب جريدة الشورى المصرية "محمد علي الطاهر" يبعث بكتاب إلى العقبي صاحب الإصلاح وذلك بعدما قرأ مقالة المدني حول الأحداث ومما جاء فيها قوله : «وقد فرحت بصدور الإصلاح أشد الفرح، وكم تأملت واهتزت أعصابي وأنا أقرأ مقالة الأخ المجاهد أحمد توفيق المدني عن 8 ماي وماأجرى فيه الجبناء الأنذال من فضائع بالأبرياء»(38).

أما موقف الشيخ خير الدين فاعتبر الجريمة الفرنسية بداية جديدة في تحول المواقف الجزائرية، ولذلك نجد خير الدين لم يسهم كغيره من رجال الإصلاح في إبراز مظاهر الجريمة كما هو الشأن عند الإبراهيمي، بقدر مانجده يحدد البداية الجديدة في العمل عند الرجال الوطنيين بقوله : «كانت بحق نقطة تحول في تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ونقلها من طور إلى طور آخر»(39).

وإذا كانت كتابات خير الدين قليلة حول الحادثة باعتباره أنه كان رجلا مسؤولا يفقه في علم السياسة أكثر من كونه رجل قلم، فإنّ الغرابة هنا تكمن في الأشعار النادرة لشاعر الإصلاح محمد العيد حول الحادثة فبرغم غزارة أشعاره حول قضايا عديدة، فإنه لم يفرد الحادثة بما عرف به من شعر، وقد أحيا الذكرى كغيره من الشعراء بقوله :

لم ننس مايو لا ولا مأساته   حتى جبهنا الغاصب المتجبرا
لما ازدرى بحقوقنا متطلبا   في كبره قلنا له أطرق كرى
وقد تحوّلت لغة التخاطب بيننا   لغة بها جو السلاح تعكرا(40).

أما الشيخ الربيع بوشامة أحد الأعضاء البارزين في حركة التعليم العربي لدى جمعية العلماء، فقد أفجعته حوادث 8 ماي وأثرت على شاعريته وحزت في نفسية قوافل الشهداء، ولذلك نراه يصوّر لنا ذلك المصاب الجلل والهول الفضيع بقوله :

شابت لهولك في الجزائر صبية   وانماع صخر من أذاك الطامي
تاريخك المشؤوم مسطر من دم   ومدافع من صفحة الآلام.(41).

وإذا كان الشهيد الربيع بوشامة يرى أنّ تاريخ الجزائر تسطر من دم، فإن شاعر الشباب أحمد سحنون وهو من أعضاء الجمعية خلال فترة الإبراهيمي، نراه يتأثر للفاجعة، ويوصي الشباب الجزائري على ضرورة الوحدة والحذر تجاه السياسة الفرنسية والتحلي بروح المسؤولية، وأنّ الدين الإسلامي دين قوة وتضامن لادين تفرقة وضعف ونلمس ذلك في قوله :

محمد ليس يرضى	بأن تعيش شقيا
وان قنعت بدون	يكون منك بريا
عار على جند طه	ألا يكون قويا[42].

أما الشاعر أبو بكر مصطفى بن رحمون وهو من الشعراء الفحول خلال الأربعينات فقد اجتهد في توظيف شعره الوطني لتحريك النفوس وحثها على الثورة ضد الظلم الإستعماري[43] ولذلك نراه كغيره من الشعراء الوطنيين يفرد الثامن ماي بقصيدة مطولة وصف من خلال أبياتها مناكر الإستعمار الفرنسي ضد الأبرياء وذلك بقوله :

دوت كقصف الرعد في الآذان	وتفجرت في الشرق كالبركان
إن كنت تسأل عن مدى أحقادهم	آثارهم تغني عن البرهان
ظلم تقاسي الجزائر منهم	لم يجر في وهم ولاحسبان
يؤذيهم أن يبصروها أمة	تهوى المعارف حية الوجدان
أيجرد الشعب الأمين كبيره	وصغيره حتى من القضبان
ويساق للإعدام أعزل آمن	أسروه بين الدرب والدكان
بالطبع يأبى الإندماج بأمة	تفكيرها ولسانها ضدان[44].

وخلاصة القول فإن حوادث الثمن ماي 1945 هي بمثابة البداية الجديدة في تاريخ الجزائر المعاصر، ولذلك لايمكن اقتصار هذا الحدث التاريخي الهام على تيار سياسي دون الآخر، وذلك لما أصبحت عليه الحركة الوطنية في سيرها نحو التطبيع والتلاحم والإنفراج بدلا عما عرفت به من سوء التفاهم، واتضح ذلك جليّا بعد

Créé avec nitroPDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

صدور البيان الجزائري.

وكانت الجمعية كغيرها من الإتجاهات الوطنية قد تبنت منهجا جديدا في عملها السياسي، إذ أصبحت أكثر إنتاجا في علاقاتها مع البيانيين للتقارب في وجهات النظر معهم، كما كان لأسلوب المرحلية الدور الأساسي في التحكم أكثر في مواقفها وخاصة تجاه الإدارة الفرنسية بعد أن أصيبت الجمعية بخيبة أمل من جراء المواقف السلبية للقرارات الفرنسية من المطالب الجزائرية.

وإذا كانت الجمعية خلال منتصف الأربعينات قريبة في مواقفها مع الأحزاب الوطنية، فعمدت لذلك حتى تحافظ على بقاءها بعدما أصبحت تملك رصيدا مؤسساتيا وبشريا لايستهان بهما، ومن ذلك فلاشك فيه أن القائمين بأحداث الثامن ماي كان معظمهم ينتسب بشكل أو بآخر إلى مدرسة التحصيل الديني والوطني التي أرستها الجمعية في برنامج عملها.

كما أنّ شعار الجهاد ضد الكفار المستوحى من الإسلام والذي ردده المتظاهرون كان أحد الدعائم الأساسية الذي وسع من النطاقات الجغرافية للحوادث بحيث لم تبق في مدينة سطيف وضواحيها، بل امتد صداها غربا حتى سعيدة ومعسكر وتلمسان وشرقا حتى قسنطينة وقالمة وعنابة.

وأما ردود الفعل الفرنسية فلم تسلم منها الجمعية سواء في أشخاص زعمائها أو في إطاراتها والعاملين في حقل الإصلاح معها، بل وحتى المتعاطفين معها هم كذلك ذاقوا فنون التعذيب، فذلك لالشيء سوى أن الطغمة الإستعمارية أصبحت وقتئذ لاتفرق بين الجمعيات والأحزاب والقاعدة العريضة من الجزائريين لأنها تيقنت من تلاحم الصف الوطني الذي اختار القطيعة مع فرنسا دون الإستمرار في سياسة تقديم العرائض والإصغاء للوعود الكاذبة.

الهوامش

1 ـ فرحات عباس، حرب الجزائر وثورتها ـ ليل الإستعمار، ترجمة أبو بكر رحال، ط I (مطبعة فضالة المحمدية المغرب ص 167.

2 ـ انظر: Ahmed Mahsas, Le mouvement Révolutionnaire en Algérie de la 1er guerre Mondiale à 1954 (Librairie éditions L'Harmattan P.163. Paris 1979)

3 ـ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1930 ـ 1945، الجزء الثالث ط I (مطبعة البجلاوي 1975) ص 246.

4 ـ سعد الله، نفس المرجع، ص 242.

5 ـ لجأت قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية إلى تأسيس لجنة الإصلاحات الإسلامية بغرض دراسة أوضاع الجزائر والخروج بإصلاحات جديدة لاسكات أصوات الوطنيين، وقد قدّمت العديد من التشكيلات الوطنية وغير الوطنية مذكراتها إلى المجلس بغرض الدراسة، لكن مقررات لجنة الإصلاحات لم تتمكن من تمييع أبعاد المطالب الجزائرية.

للمزيد أنظر : Gouvernement général d'Algérie, Commission chargée d'établir un programme de réformes politiques Sociales et économiques (Documentations. T 1-2)

6 ـ عبد الرحمان بن العقون، الكفاح القومي والسياسي من خلال مذكرات معاصر، ج II، ط I (المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984) ص 257.

7 ـ لقد فتحت مذكرة الإبراهيمي وكتاباته في جريدة البصائر المهاترات العديدة تجاه العديد من الأطراف التي كانت معارضة لأعمال الجمعية وخاصة الجمعية الودادية لرجال الديانة الإسلامية في القطر الجزائري برئاسة المفتي الحنفي محمد العاصمي، للمزيد أنظر : مجلة صوت المسجد، عدد 3، السنة الأولى، 3 ديسمبر 1948.

8 ـ سعد الله، الحركة الوطنية ج3، ص 243.

9 ـ تعتبر عائلة بن الحفاف من أعيان الجزائر العاصمة التي ساهمت مع بداية القرن في خدمة قضية الفكر والإصلاح، كما ساهمت أيضا في شراء نادي الترقي الذي أضحى فيما بعد الدماغ المفكر للجزائر خلال الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن.

للمزيد أنظر : أحمد توفيق المدني، حياة كفاح، ج II ، ط I (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

Créé avec nitro PDF professional
télécharger la version d'essai gratuite sur nitropdf.com/professional

الجزائر 1977) ص 111.

10 ـ محمد خير الدين، مذكرات، الجزء الثاني، ط I (المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر) ص 19.

11 ـ عباس، ليل الإستعمار، ص 185.

12 ـ سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، ص 249.

13 ـ عينا د ثابت رضوان، حوادث 8 ماي 1945 في الجزائر، ط I (ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1986) ص 41.

14 ـ عينا د، نفس المرجع، ص 43.

15 ـ ابن العقون، الكفاح القومي، ص 314.

16 ـ عباس، ليل الإستعمار، ص 206.

17 ـ سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، ص 253.

18 ـ ثابت رضوان، حوادث 8 ماي، ص 23.

19 ـ المدني، حياة كفاح، ج II، ص 382.

20 ـ عباس، ليل الإستعمار، ص 187.

21 ـ سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، ص 264.

22 ـ مربوش لمطيش، محادثة شخصية، بتاريخ 1982.01.12.

23 ـ سعد الله، الحركة الوطنية، الجزء الثالث، ص 278.

24 ـ خير الدين، مذكرات، ج II ، ص 21.

25 ـ شلتاغ عبود شراد، حركة الشعر الحر في الجزائر، ط I (المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1985)، ص 63.

26 ـ خير الدين، مذكرات، ج II ، ص 21.

27 ـ الإبراهيمي، حديثه إلى جريدة المصور المصرية.

28 ـ سعد الله، الحركة الوطنية، ج 3، ص 270.

29 ـ البشير الربراهيمي، عيون البصائر، ج II ، ط I (الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر) ص 371.

30 ـ الإبراهيمي، نفس المصدر.

31 ـ عبد الملك مرتاض، محمد البشير الإبراهيمي، وزارة الثقافة والسياحة الجزائر 1984، ص113.

32 ـ الأبراهيمي، عيون، ج II ، ص 371.

33 ـ مرتاض، الإبراهيمي، ص 114.

34 ـ لقد قال الإبراهيمي في الفاجعة شعرا بقوله :

يـايـوم ذكـراكا   لم تبرح البـالا
لو طاف مسراكا   بالليث ماصالا